تحقيق المخطوطة الفريدة

الأستاذ الدكتور
زهير غازي زاهد
الجامعة الإسلامية ـ النجف الأشرف
كلية العلوم الإسلامية

اعتماد النسخة الفريدة في التحقيق يرفضها علماء الفيلولوجيا ويفضلون أن يسمى العمل فيها تصحيحاً، لأن معظم النسخ الفريدة التي حققت كانت ناقصة أو ملأى بالأخطاء في تراكيبها أو ما احتوته من أعلام وأسماء، مثل كتاب طوق الحمامة لابن حزم الذي توجد نسخة منه في خزانة جامعة ليدن بهولندا، فهي نسخة ناقصة، لأن إحالات ابن حزم عليها في مؤلفاته الأخرى غير موجودة فيها، فهي إذن ناقصة [١].

ينبغي لنا أن نتعرف على تاريخ المخطوط في التراث العربي الإسلامي، وما تعرض إليه من كوارث في عصور الغزو والاختلاف العنصري والطائفي، ويكفي أن أشير إلى ثلاث منها :

١- مصير مكتبة بيت الحكمة التي أنشئت في أيام الرشيد ونمت نمواً عظيماً في العصور العباسية حتى صارت مركز إشعاع ثقافي وعلمي، كان مصيرها الحرق والتدمير في هجوم التتر على بغداد سنة ٦٥٦ هـ.

وكذلك المكتبة التي أسسها سابور بن أرد شير البويهي سنة ٢٨٢ هـ، في الكرخ ببغداد وأوقف عليها أوقافا ضخمة وكان الشريف المرتضى قائما عليها، دّمرها السلاجقة بدخولهم بغداد سنة ٤٤٨ هـ، حتى أحرقوا المنبر الذي كان يجلس عليه الشيخ ابو جعفر الطوسي فاضطر للهروب إلى النجف.

٢- خزانة العزيز الفاطمي أسسها سنة ٣٦٥ هـ، كان مصيرها الدمار بعد زوال حكم الدولة الفاطمية بمصر باستيلاء صلاح الدين الأيوبي على الحكم، آلت إلى النهب والتدمير والأهواء.

٣- المكتبة الأندلسية في قرطبة كيف زالت ودمرت بعد ذهاب الخلافة واستولى ملوك الطوائف على البلاد؟ تبددت وتقاسمتها الأهواء.

ومكتبات أخرى في الشام كمكتبة بني عمار في طرابلس الشام وقد حرصوا على أن يجلبوا لها نوادر الكتب، أحرقها الصليبيون عندما احتلوا طرابلس سنة ٥٠٢ هـ[٢].

يروي العماد الاصفهاني المتوفى ٥٩٧هـ، في موسوعة الخريدة[٣]، كثيرا مما رأى وسمع من حوادث واخبار، وينقل من كتب لم نسمع بأسمائها أو كتب عرفناها ولم تصل

إلينا.. وانه ليختار اختيارات كثيرة من دواوين الشعراء والتراجم لم تصل إلينا كتبهم، وكانت الخريدة مصدراً لعدد من المؤلفين ولاسيما ابن خلكان[٤]، ليس غريبا أن تبقى في المخطوطات فرائد، فما موقف المحقق من المخطوطة الفريدة؟ وماذا يتخذ من منهج ليخرجها سليمة كما وضعها مؤلفها أو قريبا منه؟ هذا يكون موضوع بحثي إن شاء الله.

بعد كل ذلك ليس من الغريب أن نجد نسخا فريدة من المخطوطات التي نجت من الحرق والتدمير، ما هو موقفنا؟ أنأخذ برأي الفيلولوجيين ببعض الكتب الناقصة أم نحرص على النسخة الفريدة، ونعطيها حقها بشرط حضور المحقق المتمرس ذي التجربة والدربة في تحقيق النصوص وحضور النسخة الفريدة التامة؟

فاذا كان مفهوم التحقيق محاولة إخراج النص كما وضعه مؤلفه أو قريبا منه بعد بذل الجهد في قراءته، وتحقيق عنوانه، ونسبته إلى مصنفه، قراءته فيما ذكر في فهارس المخطوطات وكتب التراجم وتاريخ الأدب، مثل كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين والذريعة للطهراني وما جمعه وانتجه معهد المخطوطات العربية في القاهرة وفهرست النديم، والفهارس التي وضعت في مكتبات المغرب العربي والمؤسسات العلمية، كالمجامع العلمية وغير ذلك من مظان وجود المخطوط.

ثم قراءته الثانية قراءة نصه لمعرفة ما احتواه من معلوماتها، فبعد تحقيق عنوان المخطوطة ونسبتها إلى مؤلفها يبدأ المحقق بمعالجة النص معالجة علمية، بتخريج الأقوال الواردة، والاشارة إلى مصادرها، وشرح ألفاظها الغامضة، وترجمة أعلامها، وحل غوامضها والاشارة إلى تصحيح السهو إن كان، وإكمال ما احتاج إلى إكمال من بعض تراكيبها، وكل ذلك موضعه حواشي المخطوطة، ولربما بهذه القراءة الداخلية يتأكد له نسبة المخطوطة إلى مؤلفها، إن كان فيها نصوص أحال مؤلفها على كتب له، أو نصوص نقلها بعض المؤلفين منها وأشار إلى صاحبها.

بهذه القراءة تعرف دقة المحقق ومدى عنايته وأمانته في حفاظه على النص ثم سعة اطلاعه ومعرفته العلوم المختلفة من خلال شرحه في هوامشه وإشاراته إلى المصادر في بيان شواهد الكتاب.

هذا اذا كان للمخطوطة عدة نسخ اختار المحقق النسخة الأم في التحقيق، والشائع ان النسخة الأقدم هي التي تتخذ أصلا للتحقيق والباقيات للمقابلة وتثبيت الفروق في الهوامش، ولكن قد تكون إحدى النسخ المتأخرة أوثق من القديمة، إذ قد تكون النسخة المتأخرة ناسخها أحد العلماء على نسخة أكثر صحة من القديمة التي بين النسخ، فتتخذ أصلا، فالمهم اختيار المحقق الحاذق يكون هو القرار.

وفي تجربتي في تحقيق كتاب الادغام الكبير في القرآن لأبي عمرو الداني ٤٤٤ هـ، والمخطوطة فريدة نادرة لم نستطع الحصول على أخت لها، وموضوعها هام، نسختها في المتحف البريطاني أرقامها ٣٠٦٧ خطها نسخ مقروء، ومنها نسخة مصورة

في معهد المخطوطات العربية في القاهرة رقمها ٣ قراءات، حملها إلي الدكتور محمد جبار المعيد بعد اكمال دراسته العليا وعودته من انكلترا. رحمه الله رحمة واسعة.

المخطوطة مهمة في موضوعها لأنها درست ظاهرة من ظواهر العربية المهمة، فالإدغام الكبير ظاهرة في قراءة أبي عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) قارئ البصرة وأحد القراء السبعة، موضوعها ليس غريبا عليّ، فلي كتاب في أبي عمرو بن العلاء، جهوده في القراءة والنحو ثم تحقيقي كتاب " إعراب القرآن " لأبي جعفر النحاس تردد ابو عمرو بن العلاء كثيرا في إعراب سوره، فاندفعت لتحقيقها وبذل الجهد في إخراجها. خمنت أن هذه النسخة منسوخة على أخرى قريبة من عصر المصنف اذا لم تكن على نسخة المصنف، لصحتها، قرأها أحد العلماء وعلق في حاشيتها على بعض الكلمات بما يراه صوابا ويضع إلى جانب كلمته علامة (صح).

تأتي أهمية كتاب الإدغام الكبير من ناحيتين : أولا هما أنه كتاب في ظاهرة لغوية هي الإدغام الكبير امتازت بها قراءة أبي عمرو ورواها عنه تلامذته وأهمهم أبو محمد اليزيدي، وهذا الكتاب أوسع كتاب، حفظ لنا هذه الظاهرة، وقد ألف فيها ابو عمرو الداني هذا الكتاب.

أما الناحية الثانية في أهمية هذا الكتاب فهي كونه من تأليف أكبر علماء عصره في العلوم القرآنية والتصنيف فيها.

والكتاب من قسمين : أولهما وضع الداني فيه الأصول في ثمانية أبواب بسطت هذه الظاهرة ومن رواها عنه وعللتها ودرستها دراسة علمية دون النظر إلى موقف النحويين من جملة مواضع الإدغام واعتراضهم عليها، وبيان مذهب أبي عمرو في ادغام الحروف المتماثلة أو المتقاربة في الكلمة الواحدة وفي الكلمتين.

وبعد تفصيل الكلام في حروف المعجم وأقسامها في الإدغام وعدمه جاء قسم الفرش، وهو القسم الثاني التطبيقي لظاهرة الإدغام الكبير، ذكر ما جاء في القرآن الكريم مواضع الإدغام سورة سورة من أول القرآن إلى آخره.

وفي النهاية أثبتُ إحصاءه لما ورد من مواضيع إدغام أبي عمرو بن العلاء، ما أورده ابن مجاهد، وما قرأ به هو، وما اختلف فيه بين العلماء.

فإذا كان مفهوم التحقيق بذل الجهد في قراءة النص المخطوط واخراجه كما وضعه مصنفه أو قريبا منه، فاعتماد النسخة الفريدة الكاملة، وكان موضوعها هاما ولا يوجد نسخ غيرها، يمكن تحقيقها بجهد المحقق المتمرس الذي يمكنه إخراجها بريئة من الخطأ.

والذين يرفضون اعتماد نسخة واحدة في التحقيق من الفيلولوجيين، لأنها لا تخضع للأساليب الحديثة في نقد النصوص و " لأن معظم النسخ الفريدة التي حققت كانت ناقصة، أو ملأى بالأخطاء من حيث مستوى التراكيب أو الألفاظ أو الأعلام الشيء الذي فتح الباب على مصراعيه للنقد الحدسي والتخمين في الاصلاح " [٥].

هذا قد يكون حتى في تحقيق مخطوط من اكثر من نسخة فالأمر يعتمد على قدرة المحقق ودربته وذكائه، صحيح حققت كتب على نسخة فريدة فكان فيها أوهام مثل المخطوطة التي حققها الأستاذ إبراهيم الابياري بعنوان " إعراب القرآن " المنسوب للزجاج، كان الخطأ في قراءة الابياري، لأنه اعتمد على العنوان المخطوط، ونسبته على ورقة أضيفت للمخطوط بدلا من ورقة عنوانه الأصلي التي سقطت وطمس العنوان واسم المصنف.

فالمخطوطة ورقة عنوانها ساقطة، أبدلت بأخرى، ووضع مفهرس المكتبة عنوانا واسم مؤلف زائفين، والمخطوطة تكشف عن زيف العنوان والمؤلف كلما توغل المحقق في قراءتها بوجود أعلام وأسماء عاشوا بعد الزجاج، واسماء كتب له يحيل اليها ليست للزجاج، فنهد الأستاذ أحمد راتب النفاخ فدقق في قراءتها، فخرج بالنتيجة الصواب ان عنوانها "الجواهر" ومؤلفها جامع العلوم الباقولي (ت٥٤٣هـ)[٦].

وكذلك ما نشره الأستاذ عبد الحميد العبادي بعنوان كتاب " نقد النثر " اعتمد العنوان الزائف على وجه المخطوط وكذلك النسبة لقدامه بن جعفر، على نسخة مكتبة الاسكوريال، وعلى الرغم من تنبيه زميله الدكتور طه حسين بأن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون لقدامة، فأصرّ على تسميته، لأن الشيخ محمد محمود الشنقيطي أخذ بتسمية نسخة الاسكوريال، واكتشف العنوان والتسمية الصحيحة بعد العثور على نسخة تشستربيتي في مكتبة دبلن عاصمة ايرلنده، وهي كاملة، ونسخة الاسكوريال ناقصة بأقل من نصف أوراقها، فعرف منها عنوانها (البرهان في وجوه البيان) لإسحاق بن إبراهيم بن وهب[٧].

وصدر سنة ١٩٩٥ عن دار الغرب الإسلامي كتاب بعنوان " صنعة الشعر " لابي سعيد السيرافي، تحقيق الدكتور جعفر ماجد أستاذ في الجامعة التونسية، والمخطوطة كانت قد سقطت ورقتها الأولى فطمس عنوانها واسم محققها، وهي من مخطوطات الدار الوطنية بتونس ونسخة منها لدى العلامة حسن حسني عبد الوهاب، وضع على ورقتها المضافة عنوان (المخترع في العروض والقافية) لأبي القاسم الزجاجي فالمحقق قرأ عبارة في الورقة (٣٨ أ) قراءة خاطئة وهي قول المؤلف : " وقد بينا هذا في كتاب ألفات الوصل والقطع بيانا محكما " فتسرع المحقق باحثا عمن له كتاب في ألفات الوصل والقطع، فوجد أن من مؤلفات أبي سعيد السيرافي كتابا بهذا العنوان، وله ايضا (صنعة الشعر) فطبع المخطوط بهذا العنوان، والمخطوط يبين من بدايته أنه لإمام في العروض، فهو لا للزجاجي ولا للسيرافي، لأن السيرافي لم يكن من تلامذة الزجاج[٨]، فهذه هي القراءة الخاطئة التي تسقط المحقق غير الصبور، على صعوبات التحقيق، في الخطأ.

أما الإشكال في النسخة الفريدة فهو سقوط صفحة العنوان، وعليها النسبة، لسبب من الأسباب، ولكونها مخطوطة هامة في موضوعها، فهي تحتاج إلى محقق متمرس ذي دربة في التحقيق، ومعرفة في العلوم المختلفة ليحققها، أما المحقق المتسرع غير المتأمل فيقع في

هذا الاشكال، فيقرأ المخطوط قراءة خاطئة، فيخرج الكتاب بغير عنوانه الحقيقي، وينسبه لغير مصنّفه.

ان الخلل في المحقق إذا لم يحسن فن التحقيق في قراءة النص، فوقوع المحقق في الخلل المذكور، واستدراك آخر أكثر ضبطا وأكثر خبرة عليه.

فالمحقق ذو الخبرة ودقة النظر يستطيع أن يسلك المنهج القويم للوصول إلى الحقيقة بالرغم من الخلل بسقوط الورقة التي تحتوي على العنوان واسم المؤلف إضافة ورقة دخيلة، ويضع عليها المفهرس ما تصوّر من عنوان واسم مؤلف، ولدينا غير ما ذكرت من الأمثلة.

ومن مشكلات التحقيق قضية النساخة والنساخين، وتكون هذه في النسخة الفريدة أو النسخ المتعددة للمخطوطة، ولهذا الإشكال حديث آخر خاص بها إن شاء الله.

هوامش البحث

(١) ينظر المخطوط العربي وعلم المخطوطات، تنسيق أحمد شوقي، ام فضالة المحمدية، الرباط (١٩٩٤م).
(٢) ينظر تفصيل ذلك كتاب تاريخ الكتب والمكتبات، د. عبد الستار الحلوجي، دار الثقافة للنشر القاهرة، ١٩٨٢م.
(٣) هي خريدة القصر وجريدة العصر.
(٤) ينظر علي جواد الطاهر، الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي (المقدمة) ص٢٦، وكذلك شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، تحقيق: ابو الفضل إبراهيم، فهو قد احتفظ بنصوص من كتب تلفت بدخول المغول بغداد.
(٥) المخطوط العربي وعلم المخطوطات، احمد شوقي بنين، مطبعة فضالة، الرباط، ١٩٩٤.
(٦) ينظر تفصيل ذلك البحث بحلقتين بعنوان (كتاب إعراب القرآن، المنسوب للزجاج) للأستاذ أحمد راتب النفاخ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م ٤٨، ج ٤، م ٤٩، ج ١. وينظر أيضاً مقدمة كشف المشكلات وايضاح المعضلات، جامع العلوم الباقولي، تحقيق: محمد أحمد الدالي، ص ٤٠، ٤١.
(٧) حققها الدكتور احمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي ونشراها على نسخة تشستربيتي بعنوانها ونسبتها الصحيحين.
(٨) المخطوطة شاركنا الأستاذ المحقق هلال ناجي بتحقيقها فأثبتنا بالأدلة العلمية انها لأبي الحسن العروضي أحمد بن محمد المتوفي (٣٤ هـ)، وهو احد تلامذة الزجاج الملازمين لمجالسه، انظر تفصيل حديثها مقدمة كتاب (الجامع في العروض والقوافي)، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٦.

مصادر البحث

ـ إعراب القرآن/ أبو جعفر النحاس/تح: د. زهير غازي زاهد/ م العاني ١٩٧٧

ـ إعراب القرآن المنسوب الى الزجاج/ تح: إبراهيم الأبياري/ الهيئة العامة لشؤون المطابع/ ١٩٥٥.

ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة/ جمال الدين القفطي/ تح: أبو الفضل إبراهيم/ دار الكتب المصرية.

ـ الأنساب، للسمعاني/ ليدن/ ١٩١٢

ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحات/ جلال الدين السيوطي/ تح: أبو الفضل إبراهيم/ المكتبة العصرية/ بيروت.

ـ تاريخ الأدب العربي/ كارل بروكلمان/ ترجمة عبد الحليم النجار/ دار المعارف بمصر/ ١٩٦١.

ـ تاريخ الأدب العربي/ كارل بروكلمان/ ترجمة رمضان عبد التوتب/ دار المعارف بمصر/ ١٩٧٧.

ـ تاريخ علماء الأندلس/ ابن الفرضي عبد الله بن محمد/ الدار المصرية للتأليف والترجمة.

ـ طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي/ تح: أبو الفضل إبراهيم/ دار المعارف بمصر/ ١٩٨٤.

ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه/ لابن خير الإشبيلي/ القاهرة/ ١٩٦٣.

ـ فهرسة المكتبة الأحمدية بتونس/ عبد الحميد منصور.

ـ في تحقيق التراث/ د. زهير غازي زاهد ود. ناظم رشيد/ ٢٠٠٦

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/ حاجي خليفة/ ١٣٧٨هـ.

ـ المخطوط العربي وعلم المخطوطات/ تنسيق أحمد شوقي بنين/ منشورات كلية الآداب/ الرباط/ ١٩٦٤.

ـ مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين/ رمضان عبد التواب/ مكتبة الخانجي/ القاهرة/ ١٩٨٥.

ـ الوافي بالوفيات/ صلاح الدين الصفدي/ تح: ريتر وآخرين/ فيسبادن/ ١٩٦٢ وما بعدها.

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان/ ابن خلكان/ تح: إحسان عباس/ بيروت/ ١٩٦٨ ـ ١٩٧٢.